



# فتنة اللغة بين الموت والبعث في الرواية السعودية (١)

إحياء الكلمات والذي يحاول من خلاله إحياء تجربته في نفوس المتلقين ومن ثم مساعدتهم على اكتشاف البنية العميقة للنص.

كذلك ظهر في الرواية تكرار واضح لجمل بعينها فمثلاً نجد جملة: (أنالست مريضاً) في (ص ١٥) ثم تغيب لعدة صفحات لتعود للظهور مجدداً في (ص ٢٨)، فهذا الغياب هو موت مؤقت للجملة، وبعثها من جديد والتأكيد عليها في مقاطع حوار كثيرة بين الطبيب ومريضه يحمل في طياته أبعاداً إيحائية تنسجم مع الموقف الذي يعيشه الشخصية، وتعكس رغبة الكاتب في استدراج القارئ إلى استيعاب قضيته الأساسية بتحريكه نحو الوصول إلى الحقيقة في نهاية الرواية، وما بحث القارئ عن المعاني المختبئة خلف الكلمات والجمل إلا توليد لمعان أخرى تؤكد نظرية معنى المعنى عند الجرجاني والتي تشير إلى أن للألفاظ (دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض) (٥) وكل هذا يحقق ما ذهبنا إليه من بعث للمفردات بعد موتها داخل النص، فكل معنى جديد تولده المفردة داخل التراكيب والجمل هو حياة أخرى لها.

ويقابلنا كذلك تكرار الكاتب لعدة جمل بما يشبه اللازمة مثل:

(أذكر أنني مت...

الآن أذكر هذا جيداً...

لست واهماً البتة)

ورد هذا المقطع في (ص ١٥) ثم يختفي لعدة صفحات ويعود للظهور مجدداً في (ص ٢٣) ليموت مرة أخرى وبعث فيما بعد في (ص ٤٥، ٤٦) ويمتد هذا التناوب بين الموت والحياة لتلك الجمل على امتداد صفحات الرواية وأحداثها، ليعكس إلهام الكاتب على فكرة معينة يريد أن يؤكد بها ويبلورها في ذهن المتلقي، لذا ظلت الأفكار حية يدفعها التوقع للتقدم في متابعة الأحداث لبلوغ لذة الوصول إلى الحقيقة التي ظل البطل يبحث عنها، وبهذا يمتد أثر النص حتى بعد الانتهاء من القراءة وفي هذا استمرار لحياته.

## الهواش:

- (١) ابن معصوم، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق: شاكر هادي، مطبعة النعمان، ١٩٦٩م، ص ٥٥، ص ٣٤٥.
- (٢) عبده خال، الطين، بيروت، دار الساقى، ط ٢، ٢٠٠٦م، ص ٧.
- (٣) المصدر السابق، ص ٧.
- (٤) المصدر السابق، ص ٨.
- (٥) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، ط ٢، ١٩٩٢م، ص ٢٦٢.

## نورة القحطاني

### ١- موت المفردة وبعثها:

إذا كانت اللفظة تعد مينة حتى تنتظم في جملة لتؤدي معنى مخصوصاً كما أشار الجرجاني، فكيف يكون موتها داخل النص؟ إن الكاتب عندما يؤلف مفرداته في جمل وتراكيب يجسدها حية في ذهن القارئ، ويستمر بعضها متنقلاً من جملة إلى أخرى عن طريق تكرارها، وهي أداة لغوية تشير إلى الجانب التأثري الذي يتركه هذا التكرار في ذهن المتلقي كما أشار إليه ابن معصوم في قوله: (تكرير كلمة فأكثر بالمعنى واللفظ لنكتة، إما للتوكيد، أو لزيادة التنبيه أو للتهويل أو للتعظيم أو للتلذذ بذكر المكرر...) (١) وبذلك تأخذ المفردة جانباً وظيفياً هاماً في خلق أفق التوقع عند القارئ كلما ظلت الكلمة حاضرة في النص، ومن أمثلة إحياء المفردة بالتكرار في الرواية ما ورد في رواية (الطين) لعبده خال:

- (أحمل لكم فجيعة لم أكن أنتظرها بتاتاً.

كنت أنتظر شيئاً ما إلا هذا الأمر)

(٢) فترار كلمة (أنتظر) تحيي الكلمة في ذهن القارئ من أول وهلة لتجعله متشوقاً ومنتظراً لما سيلقى عليه من أحداث تحمل له الفجيعة التي أشار إليها الراوي.

- (هل تمه حرج لو قلت: غدوت أنا المريض.

حقاً أنا المريض) (٣)

فإعادة جملة (أنا المريض) اعتراف من البطل بمرضه زاده تأكيداً إعادة الجملة، كما أنه خلق أفق توقع مسبق عند القارئ سيحتفظ به حتى النهاية التي تكشف له صدق توقعه فيغدو الطبيب ومريضه شخصاً واحداً، وهذا ما أشار إليه الكاتب في صفحة تالية حين قال:

(إن اللغة تخلق واقعاً نتواطأ على تثبيته في مخيلتنا، ويتحول إلى حياة بينما هناك واقع خارج هذه اللغة) (٤) فيشعر القارئ أن وعي الكاتب كان وراء هذا التكرار وكأنه يعتمد إحياء الكلمات ليصل إلى غرضه، فهو من خلال تكراره لبعض الكلمات يبتدع توقعاً يشير إلى النهاية التي يقصدها الكاتب.

وإذا أراد القارئ أن ينظر إلى بعث كلمة ما على مستوى النص الروائي، فإنه يجد فعلاً أن هنالك كلمة تتردد أكثر من غيرها، مثل (الوهم، واهماً، المريض، الجنون،...) وإحياء تلك الكلمات لا يمكن أن يكون من دون وظيفة تنسجم مع السياق العام للرواية، فهي تعين الكاتب في إضاءة جوانب قضيته التي يبعثها من خلال

ما النص إلا تأبين يعيه الكاتب أو لا يعيه، وما الكتابة إلا نوع من القتل الرمزي عند بعض

الكاتب، فهل يحق لنا القول: إن النص أشبه ما يكون بمقبرة؟ وإن سلمنا بذلك فمن يكون الأموات، وهل هناك حياة أخرى ستبعثهم من جديد؟

مهما قيل عن طبيعة النص السردى، وعن وسائل الكاتب وتقنياته في تشكيل جمالياته، فإن اللغة بعناصرها المختلفة من ألفاظ وتراكيب وجمل ودلالات وإيحاءات، تظل المحور الرئيس الذي يعول عليه النقد، فليس النص إلا بناءً لغوياً خاصاً يجسد تجربة حياتية وينقلها بشكل فني إلى المتلقي. فبعد أن يفرغ الكاتب من النص ويودعه رفوف المكتبات يدخل عالم الأموات حتى يتناوله القارئ فيبعث حياً من جديد كما تؤكد نظريات التلقي الحديثة.

إذا كل كتابة هي موت وحياء، ومن ثم فإن كل عنصر داخل النص يحركه الكاتب ليبعث فيه حياة أخرى، وبعبارة أخرى (ليس هناك موت للنص) فحركة الألفاظ والتراكيب تتجلى داخل مكونات النص من خلال لعبة الظهور والاختباء، فنرى لفظة يستخدمها الكاتب في مشهد معين تثير المتلقي ثم تختفي فترة لتبعث لاحقاً في مواقف أخرى تحيها في ذهن القارئ لتتحقق قيمة فنية معينة، وتنطبق هذه المسألة على اختفاء شخصية روائية رسمها الكاتب وسمح لها بالظهور، ثم غيابها في مشاهد أخرى بوعي أو من غير وعي لتعود للحياة من خلال تتابع الأحداث، والحقيقة أن هذه الشخصيات لم تمت، ولم تدخل منطقة النسيان في مخيلة القارئ، والدليل على ذلك أن كثيراً من أبطال الروايات العربية والعالمية وبعض شخصياتها تركت أثراً كبيراً في ذاكرتنا ووجداننا، إنها قضية الخلود وعدم فناء النص، فبقاء أثره بعث يمنحه دورة حياة تتجدد بتعدد القراءات.

وفي هذا الإطار تأتي محاور هذه الدراسة، التي تتناول الرواية السعودية -على وجه التحديد- حيث تسعى إلى الكشف عن الحياة داخل النص من خلال تتبع بعض الوسائل والأساليب، التي تبعث الحركة والحياة في مكونات النص بعد موتها على المستوى الرمزي لتشكل جماليات مختلفة تساهم في إحياء النص على مستوى التلقي.

وقد رصدت الدراسة هذه الفكرة من خلال الملامح التالية:



أبواس إبراهيم الشمسان

## أجامعة تريدونها أم كتاباً



صاحب الحديث عن الجودة في تعليم الجامعة أن يجري النقاش حول ذلك التعليم وأخص بهذا قسم اللغة العربية؛ إذ يركز على أن هذا التعليم لا يلائم السوق فهو لا يخرّج طلاباً يحسنون الأعمال في القطاع الخاص، وهم يشيرون أيضاً إلى أن هذا القسم لا يفلح في تعليم طلابه المهارات اللغوية، والذين يذهبون إلى هذا ينسون مسألة مهمة وهي أن لغة السوق ليست اللغة العربية، فليس ينفع هذا السوق أن تخرج طالباً أنحى من سيبويه ولا أجمل ترسلا من عبد الحميد، وما يفعل بطالب

يجيد تحليل النص؟ والذين يحسون ضعف مهارات الطلاب يرون أن على القسم أن يركز اهتمامه على إنكاء تلك المهارات، وهم يغفلون عن أن تلك المهارات هي موضوع اثني عشر عاماً يسليها الطالب من عمره قبل الدخول في الجامعة، أما قسم اللغة العربية فليس معهداً لتعليم المهارات اللغوية الأولية بل هو قسم مهمته الأولى تعليم علوم اللغة العربية وآدابها، وهي علوم لا ينبغي أن يتعلمها من الطلاب سوى من اكتملت مهاراته وأضحى مستعداً لتلقي هذه العلوم ليعرف مصطلحاتها وطرائق التفكير فيها وتاريخها ورجالاتها وأمات الكتب التي فصلتها، وهو بحاجة إلى معرفة عميقة بأدب العربية في أحقابها المختلفة ليقف على نفائس النثر والأشعار فيها وألوان تطور أساليبها، وهو إلى ذلك محتاج إلى تعرف جوانب البلاغة فيها والتدرب على الكشف عن مواطن الجمال في هذه اللغة الشريفة. وللنقد تاريخ قديم ليس يسهل الوقوف عليه وله امتداد وتنوع حاضر، ومن العلوم اللغوية ما هي مجتلية من ثقافات أخرى كالعلوم اللسانية الحديثة والمذاهب النقدية الجديدة وهي من الثراء والعمق بمكان لا يُقارب إلا بمشقة وعنت وكد ونصب.

قد تكون هذه العلوم اليوم مرغوباً عنها في عرف السوق، ولكن الخطر في أن يكون السوق هو المخطط لكيفيات تحصيل العلوم، ولست أنكر على السوق أن يطلب ما أراد ولست أمانع أن يجاب إلى ما أراد، ولكن الحل ليس في ترك تعليم العلوم المتخصصة، بل تهيئة المعاهد التي ترعاها الجامعة إن شاءت لتعلم وفاق حاجة السوق وعلى السوق أن يساهم في التدريب والتعليم التطبيقي. وأما القسم الذي يعلم علوم العربية وآدابها فهو قسم ينبغي أن يخصص لمن أراد تعلم هذه العلوم من غير التفات إلى حاجة السوق أو هوى العمل. ولم يفسد التعليم في رأيي شيء أكثر من كونه سلماً للتوظف وكسب العيش.

قد لا يكون لعلوم العربية وآدابها وظيفتها الظاهرة في حياة الناس ظهور العلوم الطبية والهندسية وأمثالها؛ ولكنها عميقة الأثر في الحياة من حيث صلتها باللغة نفسها المثلثة لهوية الأمة المكتنزة تاريخها المصورة طبائعها الكاشفة عن سماتها المميزة لها من غيرها، وهي عميقة الأثر من حيث صلتها بالفكر نفسه فهي ترجمانه بل آله التي لا يكون إلا بها، وللعربية خصوصية تتعدى حاجة العرب إلى المسلمين بعامة فهي لغة القرآن التي بها يفهم وبها يتعبد، ومهما ترجمت معانية تردت الأعين حسيرة عن تلك الترجمات فلا تجد بغيتها إلا باللسان العربي المبين، وأنى يدرك هذا البيان إلا بتحصيل علومه التحصيل القويم. وإن تكن كيفية تعليم علوم العربية مرتفعة عن مستوى التعليم المهاري فهي التي تقف وراء ذلك التعليم تغذوه بحسن التفسير وجميل التيسير، وما التخلي عن تعليم أصول العلوم العربية والاكتفاء بيسير المهارات إلا رجعة بالجامعة التي تزوي العلوم إلى ما قد يوازي الكتاب.

الرياض

لإبداء الرأي حول هذا المقال، أرسل رسالة قصيرة SMS تبدأ برقم الكاتب (٧٩٨٧) ثم أرسلها إلى الكود ٨٢٢٤٤